

75

قصص الأنبياء

محمّد

(صلى الله عليه وسلم) (19)

الهجرة المباركة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لهنّ





اجتمع صناديد قريش وساداتها في دار الندوة ،
ليشاوروا في أمر النبي ﷺ ، وفيما سيفعلونه به ،
بعد أن عرفوا أنه لا بد أن يلحق بأصحابه في المدينة ..
وكان اليوم الذي اجتمعوا فيه يسمى يوم الزحمة ،
فجاءهم إبليس اللعين في هيئة شيخ جليل ، عليه
ملابس ثقيلة ، فوقف بباب دار الندوة ،

فلما رأوه واقفاً بالباب ، قالوا له :

- من الشيخ ؟ !

فقال لهم :

- شيخ من أهل نجد ، وقد سمعتُ بالذي اجتمعتم
له من أمر محمد ، فحضرتُ لأسمع ما تقولون ، لعلِّي
أفيدكم برأى أو نصيح ..

فسمحوا له بالدخول ، فدخل وجلس معهم ،
فأخذوا يتشاورون فيما يفعلونه بالنبي ﷺ ، فقال
أحدهم :

- نقيده بالحديد ، ونحبسه حتى يموت ..

فقال إبليس :

- ليس هذا صواباً ، لأنكم إذا فعلتم ذلك فسوف
يعلم أصحابه ، وسوف يأتون وينتزعونه على الرغم
منكم ، ابحثوا عن رأى آخر ..

فقال آخر :

- أرى أن نخرجه من بلادنا ، وننفيه بعيداً

عنها ، فتستريح منه إلى الأبد ، وليحدث له
ما يحدث بعيدا عنا ..

فقال إبليس :

- لو فعلتم ذلك ، فلن تأمنوا أن ينزل على حي من
العرب ، فيسحرهم بحلاوة حديثه ، حتى يتبعوا دينه ،
ثم يسير بهم إليكم ، فيحاربكم بهم ويهزمكم في
بلادكم .. ابحثوا عن رأى آخر .

فقال أبو جهل :

- من رأى أن نأخذ من كل قبيلة فتى قويا ، ثم
نُعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، فيذهبوا إلى محمد
ويضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، ونستريح منه
إلى الأبد ..

فاستحسن القوم الفكرة ، وقال إبليس :

- هذا هو الرأى الصواب ..

وأكمل أبو جهل حديثه قائلا :

- إذا فعل الفتية ذلك ، تفرق دم محمد في

القبائل ، ولم يقدر بنو عبد مناف على الشار من القبائل
كلها ، فندفع لهم ديته ، وينتهي أمر محمد ودينه إلى
الأبد ..



وانتهى اجتماع قريش على هذا الرأي ،
فاتفقوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ وهو نائم في
فراشه ليلاً ..

وجاء الملك جبريل إلى النبي ﷺ ، يخبره بأن
الله (تعالى) قد أذن له بالهجرة إلى المدينة ، ويأمره ألا
يبست هذه الليلة في فراشه ، الذي كان يبيت فيه ..

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ملازماً للرسول ﷺ
في بيته ، فأمره أن ينام هذه الليلة في فراشه ، وأن
يرد لأهل مكة الأمانات التي كانوا يودعونها لدى
الرسول ﷺ ، ثم يلحق به في المدينة ..

واجتمع أربعون رجلاً من قبائل قريش الأربعين ،
وكل منهم يمسك بيده سيفاً بشاراً ، بباب النبي ﷺ ،
وهم يرصدون حركة النبي ﷺ ، حتى إذا خرج لصلاة
الفجر ضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد ..

ونام علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ ، وتغطي برده
الأخضر ، الذي كان ينام فيه ، فظن الكفار

أَنْ النَّبِيَّ ﷺ نَائِمٌ فِي فِرَاشِهِ .. وَوَقَفُوا
يَنْتَظِرُونَ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو جَهْلٍ سَاخِرًا :

- إِنْ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى دِينِهِ كُنْتُمْ
مُلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، ثُمَّ بَعَثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ،
فَجَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ جَنَّاتٍ مِثْلَ جَنَّاتِ الْأَرْدَنِ ، وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلُوهُ كَانَ فِيكُمْ ذَبْحٌ ، ثُمَّ بَعَثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ، ثُمَّ
جَعَلْتُ لَكُمْ نَارًا تَحْرَقُونَ فِيهَا ..

وَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ ، فَأَخَذَ حَقْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ ،
ثُمَّ قَالَ :

- «نَعَمْ أَقُولُ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ أَحَدُهُمْ» ..

وَأَعْمَى اللَّهُ (تَعَالَى) أَبْصَارَهُمْ ، فَلَمْ يَرَوْا النَّبِيَّ ﷺ ،
وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْشُرُ التُّرَابَ عَلَى رِءُوسِهِمْ ، وَهُوَ يَتْلُو
قَوْلَ اللَّهِ (تَعَالَى) مِنْ سُورَةِ يَس :

﴿ فَأَعْشَيْنَاهُمْ فِيهِمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ ..

ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِهِ ، وَظَلُّوا
نَائِمِينَ مَدَّةً مِنَ الْوَقْتِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ وَحْدَهُ ،

حتى جاءهم من أيقظهم قائلاً :

- ماذا تنتظرون هنا ؟ !

فاجابوه قائلين :

- ننتظر محمداً لنقتله ..

فقال الذي أيقظهم :

- خيبكم الله ، لقد خرج عليكم محمد ، ونشر

على رؤوسكم التراب ..

فوضع كل واحد منهم يده على رأسه ، فوجد التراب ،

ثم أخذوا ينظرون من خلال الباب إلى فراش

رسول الله ﷺ ، فلما رأوا علياً نائماً وعليه برد

رسول الله ﷺ ، ظنوا أنه الرسول ﷺ ، فلم يبرحوا

أماكنهم حتى طلعت الشمس ، واستيقظ علي ﷺ

فراحوا يتخبطون في الطرقات بحثاً عن النبي ﷺ ..

أما النبي ﷺ ، فإنه توجه إلى بيت صديقه أبي بكر

الصديق ﷺ ..

وكان أبو بكر كلما استأذن الرسول ﷺ في الهجرة ،
كان يقول له :

« لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا .. »

ولذلك تمنى أبو بكر ﷺ أن يكون رفيق الرسول ﷺ
في الهجرة ، فاشترى راحلتين استعدادا للهجرة ..
وكان من عادة الرسول ﷺ أن يذهب إلى دار أبي بكر ،



إما في الصباح أو في المساء ، فلما جاء هذه
المرّة في غير الموعد الذي اعتاد أن يأتي فيه ، قال
أبو بكر :

— ما جاء برسول الله ﷺ هذه الساعة إلا أمر
حدث ..

فجلس رسول الله ﷺ على سرير أبي بكر ثم قال :

— « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » ..

فبكى أبو بكر من الفرح ، وقال :

— الصّحبة يا رسول الله ..

فقال النبي ﷺ :

— « الصّحبة » ..

واستأجر النبي وصاحبه رجلاً من المشركين هو
عبد الله بن أريقط ، ليدلّهما على الطريق إلى المدينة ،
فدفع إليه أبو بكر الراحتين : ليرعاهما حتى موعد
بدء الرحلة ..

وحمل أبو بكر ﷺ كلّ ماله وخرج مع



رسول الله ﷺ ، إلى غار بجبل ثور في أسفل مكة ، فدخل فيه .. وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع ما يقوله فيهما الناس نهارا ، ثم يأتيهما بالأخبار ليلا في الغار .. كما أمر خادمه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه بالنهار ثم يأتي بها إلى الغار ليلا ؛ ليحلبا الغنم ويشربا لبنها ، ويذبحا منها ما يأكلانه ..

ولما وصل الرسول ﷺ وصاحبه إلى الغار ، تقدم أبو بكر رضي الله عنه فدخل الغار أولا خشية أن يكون فيه سبع أو حية ، فيفتدي رسول الله بنفسه ..

ووجد أبو بكر رضي الله عنه ثقبين وفتحتين في الغار ، فأخذ يسدها بقطع من ثيابه ؛ حتى لا يخرج منها ما يؤذي النبي ﷺ ، فلما لم يعد عليه من ثيابه إلا ما يستر جسده ، سد فتحة في الغار بقدمه ، فخرجت منها حية وعضته ، فلمس رسول الله ﷺ موضع العضة فشفي بإذن الله ..

وقد مكث رسول الله ﷺ في الغار ثلاث
ليالٍ ، فكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما بأخبار
قريش ليلاً .

وكانت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما -
تأتيهما بالطعام ليلاً ، وذات مرة نسيت أن تأتي
بشيء تعلق لهما فيه الطعام ، فشقت نطاقها وعلقت
به الطعام ، فسميت (ذات النطاقين) ..

وكان عامر بن فهيرة يسير بالغنم خلف عبد الله
ابن أبي بكر ، وهو في طريق عودته إلى مكة ليزيل
آثار أقدامه ؛ حتى لا ترشد الكفار إلى الغار الذي فيه
الرسول ﷺ وصاحبه ..



وخرج كفّار مكة يبحثون عن النبي ﷺ ،

ووجدوا آثار أقدام الرسول ﷺ ، تقودهم إلى غار ثور ،
فجاءوا بقصاص الأثر ، فأكد لهم أنها آثار أقدام
النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ ، فساروا حتى وصلوا إلى
الغار ، وقال بعضهم لبعض :

— محمدٌ وصاحبه داخل هذا الغار ..

ورآهم أبو بكر ﷺ فحزن وخاف على النبي ﷺ ،
فطمأنه النبي ﷺ بقوله :

« لا تحزن إن الله معنا » ..

وأغمى الله أبصار الكفار ، كما أغمى قلوبهم
وبصائرهم ، عن رسوله وصاحبه ، فلما أرادوا
دخول الغار ، وجدوا أن العنكبوت قد نسج
خيوطه على باب الغار ، ووجدوا حمامة ترقد
في عشها على بيضها ، فتعجب الكفار ، وقالوا
لبعضهم :

— لو كان محمدٌ وصاحبه ، قد دخلا هذا